

الميزان الدينية حلب القديمة

بقلم

الدكتور مصطفى صواف

عرفت حلب منذ الألف الثالث ق.م حيث ذكرت في عهد ريموش الأكادي باسمها الحالي «حَلَب» وقد ذكر آنذاك اسم أحد ملوكها ، لوكال اوشومكال ، كاهن ملك حلب (١) . إذن فقد كانت حلب الحالية منذ ما يقارب الخمسين قرناً عاصمة ذات مركز ديني . ويغلب على الظن أن إله حلب هو الذي ذكر مراراً في الألف الثاني محاطاً بالتمجيد وهو «حدد» الإله السامي القدير رب الصاعقة والمطر والجبال العالية .

وكانت الالهة عشتار الحلبية تنبؤاً في هذه المدينة وفي غيرها مكانة خطيرة أيضاً . وقد سميت في حلب ابنة الإله سين وسيدة القتال . وكان لها شهرة ذائعة ويتوسل إليها الملوك ويعتزون بها . وقد وجد في لرسا (سنكره) رقيان يرجع عهدهما إلى «وردسين» (٢٠٤٧ - ٢٠٣٦) ق.م ، ملك لرسا ابن كودورمابوك الفاتح العيلامي . وفيها انت الملك وردسين بنى معبداً ورمم آخر اكراماً واجلالاً لعشتار الحلبية .

والرقيم الأول من الآجر المطبوع وهو اسطوانتي الشكل ، وقد جاء فيه ما نصه : « إلى عشتار الحلبية سيدتي ، أنا ورد سين ملك لرسا ، من أجل حياتي وحياة كودورمابوك أبي الذي انجبني ، بنيت في قدس أقداس (الالهة) ، النقي ، مسكناً لنبلها ، ورفعت قننه كجبل عال عساها تقرر عيناً بعيني هذا . وعساها تهبني حياة (و) أياماً طويلة (٢) » .

(١) G. Barton : The royal inscriptions of Sumer and Akkad - Dynasty of Agad and Kish — New Haven 1929 ص ١٢٣

(٢) G. Barton : The royal inscriptions of Sumer and Akkad - Dynasty of Larsa — New Haven 1929 ص ٣٢٣

والرقم الثاني من البرونز . وهو مستدير الشكل ، وكان قاعدة ترتكز عليه سلة ، وقد جاء فيه ما نصه : « الى عشتار الحلبية الابنة البكرلسين (اله الوقت) سيدتي أنا وردسين ملك لرسا من أجل حياتي وحياة كودورمابوك ابي الذي أنجيني رمت معبدها المقدس اذا ... مسكناً لنبلها السامي الذي لم يسبق لأجدادي أن رموه ، وأعدت معبدها المقدس المنسوب لحماية الأرض كجبل عال ترتفع نحو قمته العين (وذلك) على المخطط الممتاز (الذي صنعه) يدي اليمنى . عساها تلقي نظرة استحسان ، وعساها تعطيني ملكاً فخماً سنين تفرح القلب وعساها تمنحني هبات بفخار » (١) . ولا شك أن تمجيد عشتار الحلبية في مدينة لرسا السومرية في عهد الفاتحين العيلاميين الساميين كودورمابوك وولده وردسين دليل قاطع على شهرتها ومكانتها الكبرى بين الآلهة المعروفة . ولم لا ؟ وهي المعبودة الشهيرة ابنة سين (القمر) . ربة الحب واللذة والخصب والحرب والماء الخ... وكانت عشتار تمثل بنجمة الزهرة .

أما حدد فلدينا وثائق عديدة تتحدث عنه وتشيد باسمه . وكان الملوك والجاهلير يفدون على معبده من كل الأقطار ليضعوا الهبات على أقدامه وينالوا عطفه ورضاه وبركاته .

ووجد معظم الرقم التي تذكر هذا الآله في ماري (تل حريري الحالية) . ومنها علمنا أن ابن ملك أوغاريت (رأس شمرا الحالية) حج الى حلب ، ومثله ملك قطنة (المشرقة الحالية بين حمص والسامية) . أما زمري ليم ملك ماري فقد حج الى حلب مراراً وقدم هبات سنية الى الهها حدد .

ومنها أنه حمل بنفسه الى حلب تمثاله المصنوع من البرونز والمرصع بالفضة (والمعروف ان تماثيل الأشخاص الرمزية كانت توضع في معبد الآله المراد نوال عطفه لكي ينظر اليها دائماً ويتذكر اصحابها ويهيم بركاته وعطفه) .

وقد أخذ زمري ليم البرونز والفضة اللازمين لصنع هذا التمثال من معبد الآله دجن (آله القمح) في تركة (العشارة الحالية على الفرات شمالي ماري) حيث كان يوجد معبد كبير وشهير لهذا المعبود ، وذلك لأن الملك المتقدم كان يعتبر كالكاهن الأكبر لهذا الآله ، ويحق له التصرف كما يشاء بأموال المعبد الذي يديره بمهارة وأمانة .

G. Barton : The royal inscriptions of Sumer and Akkad - Dynasty of Larsa - (١) New Haven 1929. ص ٢٢٢

ووجد رقيمان آخران يتحدثان عن كميتي البرونز والفضة اللتين استعملتا في صنع هذا التمثال وتليسه . وإليك نص الرقيم الأول الذي يشير الى كمية البرونز : « أن ٢٧ وزنة mine و ٥/٦ الوزنة من البرونز من مال الاله (دجن) في تركه (العشارة) قد استخدمت في تمثال الملك الذي سيذهب الى حلب ^(١) . أما الرقيم الثاني فيحدث عن الفضة التي استعملت في تلبس هذا التمثال البرونزي وهذا نصه : « أن نصف وزنة ومثقال sicle و ١/٦ المثقال من الفضة قد استعملت في تلبس تمثال الملك الذي سيذهب الى حلب » ^(٢) . ولا يخفى ان الوزنة mine كانت تعادل ما يقارب نصف كيلوغرام او (٤٩١ غرام) على وجه الضبط ، وتقسم الى ستين مثقالاً sicle .

ولم تقتصر الصلات بين ماري وحلب على ما تقدم . اذ أنه كان يشخص الى حلب أناس كثيرون . ومن جملتهم طفل مريض من أسرة وجية جيء به اليها للاستشفاء ومعه ثلاث مرضعات وثلاث مرضعات . وكان لوالده شمش ناسير Samas Nasir^v علاقات ودية مع ملك ماري زمري ليم . وتذكر رسالة موجهة الى زمري ليم من أحد موظفيه الذي صحب هذا الطفل الى حلب ما يلي : « انني وصلت حلب من أجل الصغير ، ابن شمش ناسير ، ابي-لي-شا E-bi-li-sha كلمني هكذا : [ان يد الله تضغطه مرة ومرتين عندما كان يملك عند الملك ، انه النقط (يد الله) وحوالي لم ازل اسمع (التسكلم) بهذا التعبير في ماري الأسطر الخمسة محطمة ولم يبق منها سوى هذه الكلمات : « يد الله تبعدها » . ثم تنتهي الرسالة بالعبارات التالية : « المرضعات الثلاث والمرضعات الثلاث لم يبق لهن ثياب ، على سيدي أن يرسل ثياباً وأحذية » ^(٣) . وعلى هذا فانه كانت للآله حدد صفة شفاء المرضى . ولا يخفى انه كان يكشف المستقبل وقد لقب من جراء ذلك هو والاله شمس بسيدي الغيب . وقد أم حلب ملوك وأناس كثيرون لاسترضائه ثم للاستخارة والكشف عن الغيب . وشخص مراراً زمري ليم ملك ماري اليها لهذا الغرض . وها هو ذا نص رسالة في رقيم وجهها الملك لأحد موظفيه :

(١) G. Dossin : Syria 1939 fasc II : Les archives économiques du palais de Mari (١) ص ١٠٧ .

(٢) انظر المصدر السابق أيضاً .

(٣) C. P. Jean : Revue des études sémitiques 1939 fasc II : Excerpta de la correspondance de Mari. ص ٦٨ .

« الى كيهيلم قل هذا ، هكذا يتكلم سيدك : سابقا عندما صعدت الى حلب ، بشأن المعلومات صحراء كركيش انها تأكدت (١) .

وقد ارسل زمري ليم أحد موظفيه الى حلب لاستخارة حدد في مهمة فكتب الموظف الى سيده رقيباً يعلمه بتمام عمله وهذا هو نص الرقيم : « حسب امر سيدي في شهر ... انني ذهبت الى حلب واستخرت » (٢) .

ويدلنا وجود الآله حدد كاشف الغيب وشيخو الملك زمري ليم وارسال موظفيه للاستخارة على المميزات الدينية التي كانت تمتاز بها حلب .

وقد عثر في قلعة حلب على جزء من كتابة مسمارية كانت تحيط بطاولة حجرية مربعة للتقدمة ، ويرجع عهد هذه الكتابة الى ما يقارب القرن الثامن او السابع عشر قبل الميلاد . وهي تذكر الآله شمش والآله دجن ، ونضيف الى ذلك ، القطعة من الحجر البركاني الأسود التي تمثل رب العدل الآله شمش هذا الأثر الذي عثر عليه في قلعة حلب المقتلع من بناء ضخيم ربما كان معبداً للاله شمش . وان شمس وحدد كلاهما يعرفان سابقاً كآلهة كاشفة عن المستقبل حتى انه اطلق على كل منهما اسم سيد النظر . ويتحتم علينا اذن ان نقول ان حلب كانت مركز الالهين حدد وشمس وأنها كانت تعد من المدن التي يشخص اليها كل من رغب في معرفة مستقبله أو مستقبل ملوكه .

ولم تنقص مكانة آلهة حلب العظام في ايام المبتانيين حيث اطلق على حدد اسم تيشوب الحلبي وعلى عشتار اسم هيت الحلبي (٣) .

وتذكر الرقم الحثية التي عثر عليها في حاتوشاه (بوغازكوي) عاصمة الحثيين حدد مراراً وتسميه باسم إله الرعد الحلبي . ولم تعقد معاهدة أو مقالة بين الحثيين وأتباعهم أو حلفائهم

(١) G. Dossin : Revue d'assyriologie XXXVIe vol. I Iamhad et Qatanum, ٤٩ ص

(٢) G. Dossin : Syria 1938, fasc. II. Les archives épistolaires du palais de Mari, ١٥١ ص

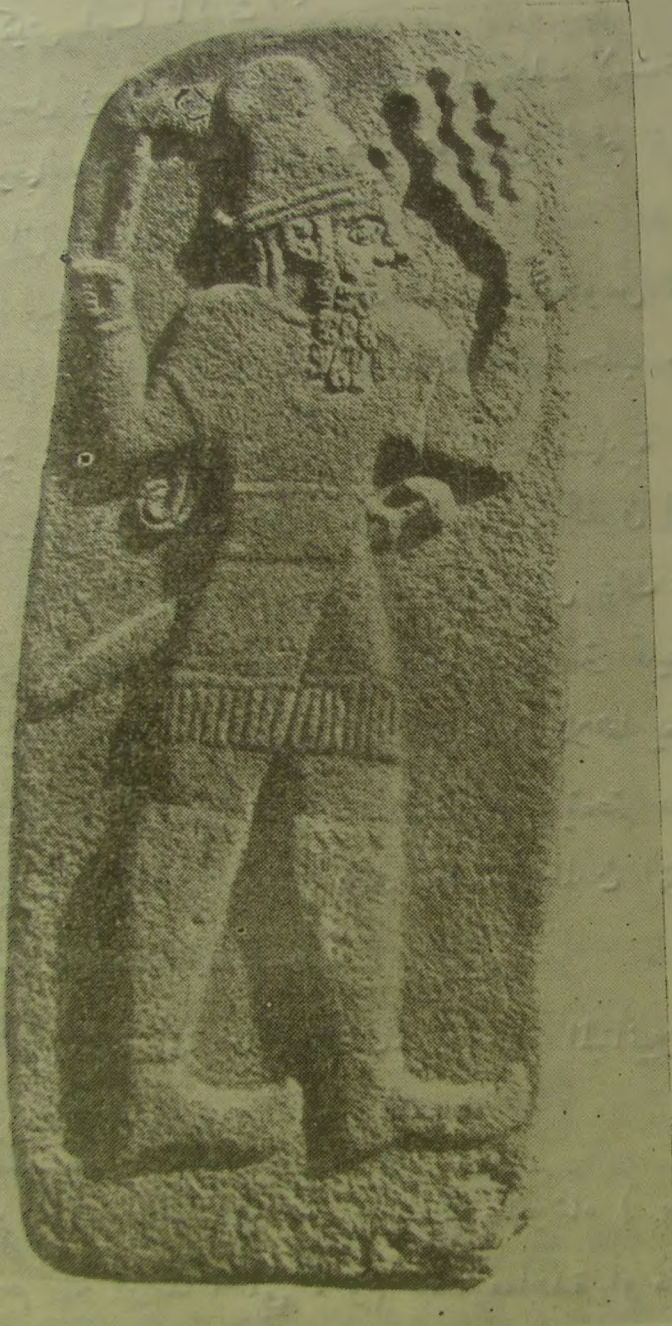
(٣) راجع المصادر التالية :

E. Forrer : Zeitch, der deutschen morgenst gessellschaft, LXXVIe, ٢٢٦ ص

Dhorme : Syria 1927, la plus ancienne histoire d'Alep, ٤٠ ص

E. Forrer : Die Boghazkoï text in Inschrift I, ٢٦ ص

او الخاضعين لهم الا ويذكر فيها هذا الرب كضامن وشاهد عليها . ومن هذه المعاهدات المعاهدة الكبرى التي أبرمت بين مصر وبلاد الحاتي . وقد سماه الحثيون اله الرعد الحلي ، كما سماه المصريون سوتبخ الأرض . وقد اتخذ كشاهد وضامن أيضاً في المعاهدة التي أبرمت بين الملوك الحثيين وملوك حلب (١) . والأمثلة على ذلك كثيرة .



ولم يفقد الاله حدد مكانته بعد انهيار الإمبراطورية الحثية ، فقد سمي في العهود السورية الحثية ساثاس الحلي وتاكوند الحلي .

ويدل على ذلك النصب الذي وجد في بابل . ويرجع عهده الى القرن التاسع تقريباً قبل الميلاد ، وهو محفوظ في متحف انقرة ويبلغ ارتفاعه (١٢٨ سم) ، وعرضه (٥٣ سم) ، وسمكه (٣٥ سم) ، وهو من الحجر البركاني الأسود وقد مثل عليه ساثاس

شكل ١ — النصب الذي وجد في بابل وهو يمثل الاله ساثاس الحلي

اوتاكوند . ويرى واقفاً ولابساً ثوباً حثياً قصيراً منتهياً الى الأسفل بضفائر ، ومنتهلاً الحذاء ذا الرأس المعقوف المعروف عند الحثيين ، ومنحطقاً بالزئار العريض الذي يمدلى منه السيف ذو القبضة المنتهية

(١) انظر المصدر السابق .

بشكل نصف هلال . ويقبض يده اليسرى على الصاعقة ذات الشعب الثلاثة المنفردة والمنموجة . ويده اليمنى الفأس ذات الحد الواحد . وقد أسبلت على صدره حية كبيرة مضمورة . كما تتدلى على ظهره ضفيرة كبيرة ترى منحدره من رؤوس كثير من الأشخاص التي تمثلهم التماثيل الحنية . وعلى رأسه قبعة مخروطية الشكل تنبت منها القرون الالهية وتنتهي القبعة بشكل كرة . وعلى ظهر هذا النصب كتابة هيروغليفية تعلمنا أن باني هذا النصب ملك ذو نسب يدعى لاس (وهو ملك حلب) وقد نذر إلى سانتاس الحلبي ابنه ووهبه جميع ما لانه من مال (١) .

وفي منتصف القرن التاسع قبل الميلاد فتح سلمنصر الثالث ملك آشور حلب سلماً، ورأى أن من واجبه أن يصعد إلى التل ويستميل اله حلب الشهير حدد الذي يسميه رمسان بتقدمته القرابين إليه (٢) .

ووجدت في قلعة حلب أثناء الحفريات التي قام بها متحف حلب على نفقة بلدية المدينة قطعة من الحجر البركاني الأسود من هذا العهد . وقد مثل عليها المعبود شمش بقرص مستدير يرتكز على هلال . وشكل هذه القطعة متوازي المستطيلات . ويبلغ ارتفاعها (٩٥ سم) ، وطولها (١٣٠ م) ، وعرضها (٩٥ سم) . ولم ينحت منها سوى وجهها الأمامي ، وقد صقل وجهها السفلي ليتمكن وضعها على بناء أو قاعدة ما . ويلاحظ أنها وجدت بالقرب من حائط حفي قديم . ويظن أنها استخرجت منه واستعملت كقاعدة لبناء حائط عربي يرجع عهده إلى القرن الثاني عشر بعد الميلاد . أما ما نقش عليها فانه يمثل قرص الشمس داخل الهلال ، والشمس (آله العدل) ممثلة بقطر مستدير تنحدر منه أشعة تشبه صليباً ذا أربعة

(١) راجع المصادر التالية :

- من ١٦٢ ، وصورة رقم ١٠٣ . Koldewey : Das Wieder erstchende Babylon,
من ٦٦٦ و٥٥٨ H. Schäfer und W. Andrae : Diekunst des Alten, Oriens; Berlin 1925
من ٣٣٢ L. Delaporte : Les Hittites; Paris 1936.
صورة رقم ٦ O. Weber : L'art hittite.
من ١٦٢ - ١٦٣ E. Cavaignac : Le problème hittite Paris, 1936.
من ٢٥٠ G. Conteneau : La civilisation des Hittites et des Mitanniens, Paris 1934.
اللوحة الرابعة Babylonica IX.

Soberheim : Encyclopédie de l'Islam ; art, Halab.

(٢) من ٢٤٢

أغصان متعادلة الطول وبينها أربعة أغصان متموجة تتدلى من زوايا الصليب . وكلها داخل إطار مستدير يرتكز على الهلال (المعبود سين) إله الوقت ووالد الشمس الذي يلتف حول النصف السفلي للشمس .

وجعل النحات حول هذين الكوكبين شخصين مجنحين ، يمثل كل منهما جنياً يقابل أحدهما الآخر كأنهما يتضاربان . وقد رغب النحات أن يمثلهما في حال الركض والطيران كأنهما يصحبان



شكل ٢ - القطعة التي وجدت في قلعة حلب
وهي تمثل الآلهة شمس وحوله جنينان مجنحان

الشمس بسيرها . فجعل يدي كل منهما مطبقتين الواحدة تحت الهلال والثانية حذاء صدرها ، ولهما جناحان مفتوحان الواحد مرتفع إلى الأعلى والثاني متجه إلى الأسفل .

أراد النحات الفنان أن يمثلهما وهما يضربان الهواء أثناء طيرانهما ، ولذا جعل قضيباً صاعداً باستقامة الجناح وموازياً له يمثل خفقانه . وعلى رأس كل من هذين الجنين قبعة مخروطية الشكل منتبهة بانتفاخ كروي تتدلى منه خمسة خيوط ، وتنتهي القبعة في الأسفل بانحناء كأنها

تمثل القرون الآلهية ، ومن وراء الرأس من تحت القبعة tendli جديلة شعر مستديرة . ويرتدي كل من هذين الجنين رداءً قصيراً ينتهي بصفيرة كبيرة فوق الركبة عند الساقين . وله لحية كبيرة تنتهي بشكل مربع . وفي خصره نطاق عريض يتدلى من ورائه شريط يشبه الذنب . أما أرجلها وسوقها فعارية ، وتنتهي أقدامها بالانحناء المعروف لدى الحثيين . ولا شك أن هذه القطعة تدل دلالة واضحة على وجود معبد هام للاله شمس في حلب ، وأنه كانت توجد مكانة رفيعة للاله حدد فيها . وهذا ما يدعوا لأن نعتبر المدينة مركز الالهين حدد وشمس . وانها كانت مقر معرفة المستقبل والكشف عنه .

وقد بدأت مكانتها بالتأخر شيئاً فشيئاً في العهود الآشورية والبابلية والفارسية . غير أن شهرة آلهها لم تزل . حتى أنه وجد في مدينة (آشور) عاصمة الآشوريين ما يدل على وجود معبد خاص بآله حلب الذي سمي عند الشعوب السورية الحثية باسم سانتاس وتاكوند كما ذكرنا . ويستدل ذلك أيضاً من العثور في مدينة آشور على جزء من كأس مرمرى عليه كتابة هيروغليفية حلها الأستاذ جلب Gelb الأمريكي وهذا نصها : « باس صنع هذا الكأس وقدمه الى (المعبود) تاكوند الحلبي » ^(١) .

كما وجد من العهد نفسه وفي المدينة نفسها عدة كتابات تذكر الآله تاكوند الحلبي وتمجده ^(٢) . وانتقلت هذه المكانة الدينية الممتازة في آخر العهد الفارسي إلى مدينة (مابوغ) أي منبج الحالية الواقعة شرقي حلب حيث انتقلت اليها شهرة الآله حدد ، حتى أن كاهنها الأكبر وحاكمها سك النقود فيها وسمى نفسه عبد حدد ^(٣) . ولما جاء العهد الهلنسي علت مكانة الآله حدد ومكانة الآلهة هيبث أي عشتار في هذه المدينة . وسمى حدد باسم (زوس Zeus) ، وعشتار باسم (اتاركاتيس) وقد لقبت بإلهة الحب . وكان يؤمها بعد أن سميت باسم (هيرا بوليس) أي المدينة المقدسة أناس كثيرون من جهات متعددة لعبادة هذه الآلهة السورية الشهيرة . ومع هذا فقد ظل نفوذ الآله حدد والآلهة عشتار في حلب شديداً . وقد قدم جوليانوس حين مروره بها

J. Gelb : Hittite hieroglyphs, I — Chicago 1931.

" " " " III — " 1912

R. Dussaud : Topographie historique de la Syrie antique et médiévale. ٤٧٥ ص (٣)

(١) ص ٦٧

(٢) ص ٦١

القرايين الى زوس Zeus الحلبي والى اتاركاتيس Atargatis قرينته . وأخيراً فان كزينوفون Xenophon يحدثنا عن الطيور المقدسة وعن الأسماك المقدسة في نهر (خاليس) أي القويق الحلبي (١) .

وكان ذلك آخر وثبة للوثنية القديمة التي اضمحلت بعد جوليانوس أمام دين المسيحية الجديد المنتشر في سائر البلاد الشرقية .

صبي صواف